تقدم الري بمصر

في العصر الحديث

لمعالي حسين سري باشا

اقتطف «المقطم» ما يلي من المختصر النفيس الذي وضعهُ معالي حسين سري باشا وزير الاشغال:

ثمَّ بانشاء القناطر الخيرية وضع الحجر الاساسي في بناء الري المستديم في الوجه البحري وأمكن بواسطتها امداد هذه الاراضي بما يلزمها من الماء مدة الصيف مما ساعد على تحويل المساحات الحوضية لتروى بطريقة الري المستديم وكانت مساحة الاراضي التي تزرع فيها بعض المحاصيل الصيفية لا تتعدى مليوني فدان وقت البدء في بناء القناطر فزادت بعد ذلك الى ما يربي على ثلاثة ملايين تتبع بنظام الري المستديم ولا يخفى ما كان لهذا التوسع من اثر في زيادة مقدار المحاصيل وما ترتب عليه من ازدياد موارد البلد وازدياد ثروتها بارتفاع ثمن اراضيها وبذلك تكون الجهود المتواصلة التي بذلها المغفور له محمد علي باشا قد أثمرت وتحقق الامل الذي تطلع اليه. كذلك كان انشاء ترعة الابراهيمية الخطوة الاولى في ادخال نظام الري المستديم في مصر الوسطى اذ لما لمس سكان هذه المناطق أثر محصول القطن في الثروة الزراعية عملوا على زراعته في بعض مساحاتهم الحوضية وكانوا يحيطون هذه المساحات بجسور تقيها طغيان الماء عليها مدة الفيضان ويرفعون ما يلزمها من الماء بالآلات اما من النيل وإما من الآبار الارتوازية. ومن ثمَّ اشتد العمل جديًّا الى تحويل جانب من اراضي مصر الوسطى الى الري الصيفي فجاءت بأطيب الثمرات. واليكم نجد بين سطور الجدول الآتي ما يكفي للتدليل على مقدار ما جنتهُ البلاد من الربح منذ أن أدخل المغفور له محمد علي باشا زراعة القطن في مصر بازدياد مقدار هذا المحصول سنة بعد اخرى

السنة	قنطار	بالة	السنة	قنطار	بالة
١٨٢٠	٩٤٤	٢٣٤	١٨٨٠	٢٧٩٢٠٠٠	٦٩٨٠٠٠
١٨٣٠	١٦٨٦٧٥	٤٦٦٦٩	١٨٩٠	٤١٦٠٠٠٠	١٠٤٠٠٠٠
١٨٤٠	١٩٣٣٠٧	٤٨٣٢٧	١٩٠٠	٦٤٤٠٠٠٠	١٦١٠٠٠٠
١٨٥٠	٣٨٤٤٣٩	٩٦١٠٠	١٩١٠	٧٥٠٠٠٠٠	١٨٧٦٠٠٠
١٨٦٠	٥٩٦٢٠٠	١٤٩٠٥٠	١٩٢٠	٦٠٣٦٠٠٠	١٥٠٩٠٠٠
١٨٧٠	١٩٦٦٠٠٠	٤٩١٥٠٠	١٩٣٠	٨٢٧٦٠٠٠	٢٠٦٩٠٠٠

وقد بلغ محصول القطن في عام ١٩٣٦ ما يزيد على تسعة ملايين من القناطير وهي اكبر مقدار أنتجتهُ الاراضي المصرية منذ عهد ادخال زراعته الى الآن . على ان زراعة الاراضي مدة الصيف تتطلب ريها في هذا الوقت الذي تقل فيه تصرفات النيل ويعجز ايراده عن ان يمدها بحاجاتها من الماء لذلك كان على القائمين بامر التوسع في كل مرحلة ان يفكروا في توفير الماء اللازم للمساحات الصيفية ومن هنا عادت فتجددت فكرة التخزين وحجز مقادير من ماء الفيضان الزائد على الحاجة والاستفادة به مدة الصيف وسبق ان قلنا ان أول من فكر في تخزين الماء هم ملوك الاسرة الثانية عشرة وبدت هذه الفكرة من بعدهم لمحمد علي باشا فأمر مهندسه لنان باشا بدراسة هذا المشروع

وفكر هذا في منخفض بحيرة موريس القديم غير انهُ عدل عن هذه الفكرة لما رآهُ من التكاليف الباهظة التي تلزم لتنفيذها . ثم رأى اقامة قناطر عند جبل السلسلة لتخزين الماء أمامها الا أن ضعف القناطر الحجرية بعد بنائها لم يشجعهُ على المضي في تنفيذ هذه الفكرة ولقد تجددت فكرة تخزين الماء عند جبل السلسلة مرة أخرى ثم عاد الرأي فانحرف عن هذا الاتجاه الى منخفض وادي الريان وهكذا الى ان استقرَّ على استخدام مجرى النهر نفسه للتخزين وأخذت الحكومة في بحث هذا الاقتراح وعهدت الى لجنة من المهندسين الاخصائيين باختيار الموقع الموافق لهذا الخزان فقررت اللجنة بعد دراسة مجرى النيل بين حلفا والقاهرة — ان أنسب موقع يبنى عنده هو شلال اسوان بحري جزيرة أنس الوجود وكان تصميم السد في بادىء الامر يسمح بالحجز عليه الى منسوب ١١٦ متراً وتبلغ سعة الخزان عند هذا المنسوب نحو ثلاثة آلاف مليون من الامتار المكعبة الا أن الرغبة في المحافظة على معبد أنس الوجود الذي يقع في حوض الخزان حالت دون ذلك واقتصر في بناء السد الذي تمَّ في سنة ١٩٠٢ على جعل منسوب التخزين ١٠٦ امتار وبذلك لم ينشأ الخزان الا ليسع مليارا واحداً فقط

وللانتفاع بماء التخزين رأى رجال الري في ذلك الوقت ان يعملوا على رفع منسوب ماء النيل عند فم ترعة الابراهيمية ليتمكنوا من اعطاء مصر الوسطى نصيبها من هذا الماء مدة الصيف . وكانت هذه الترعة تتغذى من النيل بدون قناطر تساعد على رفع الماء أمامها للدرجة التي تكفي لامداد الزمام المترتب ريه عليها بالماء اللازم لهُ ولمعالجة هذه الحال استقرَّ الرأي على اقامة قناطر على النيل عند اسيوط وتمَّ بناء هذه القناطر سنة ١٩٠٢ وكذلك أمكن لترعة الابراهيمية ان تأخذ نصيبها من الماء مدة الفيضان والصيف دون ان يكون لمناسيب النيل تأثير كبير فيها

وفي سنة ١٩٠٣ تمت اقامة قناطر زفتى على فرع دمياط لتغذية أراضي شمال مديرية الدقهلية والجزء الشرقي من الغربية في الفترة الحرجة وقت طلي الشراقي واشتداد الطلب على الماء

وامتدت الجهود بعد هذه المرحلة الى الغاية بتحسين وسائل الري في أراضي مصر العليا التي تروى بطريقة الري الحوضية ولما رؤي ان أراضي مديرية قنا تحتاج الى تحسين حالة ريها فكّر في اقامة قناطر اسنا على النيل لترفع أمامها ماء النيضان بحيث تمكن لمصر هذه الحياض وبدىء في اقامة هذه القناطر سنة ١٩٠٦ وتمّ بناؤها سنة ١٩٠٨

ولقد جرت العادة في الماضي ان يقام سنويًّا سدان من التراب في كل من فرعي النيل أحدهما بالقرب من ادفينا والآخر عند فارسكور ثم أبطلت اقامتهما في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر حتى كانت سنة ١٩٠٠ حيث أعيد انشاء السدين ومنذ هذا التاريخ درجت مصلحة الري على ان تقيمها سنويًّا لمنع دخول ماء البحر المالح الى المجرى وتلوث مائه بها ولتمكن من ان تحجز أمامها ماء الرياح الذي يتسرّب من الاراضي الزراعية للانتفاع به في الري عند اشتداد الطلب . ويبدأ العمل عادة في انشاء السدين في ديسمبر ويتم قفلهما في أواخر فبراير او أوائل مارس وتختلف هذه التواريخ باختلاف تصرف النهر الطبيعي ويبنى حسابها على قاعدة قفل السدود قبل التاريخ الذي يجب ألا تمر بعده قطرة من ماء النهر الى البحر او بمعنى آخر التاريخ الذي يقابل البدء في تفريغ خزان اسوان ويستمر كل منهما قائماً حتى يقطعا عند حلول ماء الفيضان في يوليو او أغسطس

ولقد دعت قلة الايراد الذي أتت به السنون الشحيحة في أوائل القرن الحالي الى إعادة التفكير في تخزين مقادير أخرى من الماء واتجهت الانظار الى خزان اسوان للعمل على رفع منسوب التخزين به لعله بذلك يسد النقص في الايراد الطبيعي للنهر عن احتياجات الاراضي الزراعية . وانتهى هذا التفكير الى البدء في تعلية خزان اسوان الاولى التي تمت سنة ١٩١٢ وأصبحت سعة الخزان بعدها حوالي ٢٥٠٠ مليون متر مكعب وقد استخدمت كمية الماء الاضافية في تحسين حالة الري وفي التوسع في جانب من الاراضي البور في الوجه البحري ولما تم الانتفاع بهذه الزيادة كانت مساحة الاراضي المنزرعة بالدلتا ٣٫٣٠٥٠٫٠٠٠ فدان ومساحة الاراضي التي تروى ريًّا مستديماً في مصر الوسطى ١٫٠٥٠٫٠٠٠ فدان وبذلك يكون قد أمكن الانتفاع بماء التخزين كله عند اسوان في استصلاح نحو ٣٠٠٫٠٠٠ فدان من اراضي الدلتا وفي تحويل حوالي ٤٥٠٫٠٠٠ فدان من حياض مصر الوسطى الى الري الدائم . وفي سنة ١٩٣٠ تمّ بناء قناطر نجع حمادي على النيل في وسط المسافة تقريباً من قناطر اسنا الى قناطر أسيوط وذلك لضمان الري الحوضي في مديرية جرجا ولامكان تحويل الاراضي الحوضية بمديرتي اسيوط وجرجا الى الري المستديم بعد اتمام اعمال التخزين . وتمّ حفر ترعتين تأخذان من امام هذه القناطر أحدهما بالبر الايسر للنيل وهي ترعة الفؤادية والاخرى بالبر الايمن وتسمى ترعة الفاروقية